

## المبحث التاسع :

### آثار التصوف في الواقع الإسلامي القديم والحديث العلمية والعملية

كانت وصية الله لعباده إتباع منهجاً واحداً هو صراطه المستقيم ، وحذر سبل الشيطان وطرقه لأنها تؤدي إلى الفرقة و الاختلاف ونهايتها الظلال والغواية فقال تعالى : ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي

مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّيْتُكُمْ بِهِ

لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿<sup>(١)</sup> . وصراط الله المستقيم هو الملة الحنيفية السمحة التي هدى الله إليها

النبي صلى الله عليه و سلم و أمره أن يهتدي بهديها ويلتزم بمبادئها حياته كلها و أن

يصرف عبادته لله خالصة على هذه الملة ، قال تعالى : ﴿قُلْ إِنِّي هَدَيْتُ رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ

مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيمًا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَتْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٦١﴾ قُلْ إِنْ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ

وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ وَيَذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾ . وما حدث من

الصوفية هو تركها لهذا الصراط المستقيم و اتباعها للسبل المتفرقة المنحرفة ، فتركت الحنيفية

السمحة ومالت إلى تقديس الشيوخ حتى صُرِفَت العبادة إلى غير الله تعالى ، وصدق أتباعها

الخرافات فوقعوا في حبائل شياطين الإنس و الجن يوحى بعضهم إلى بعض زخرف القول .

فكانت آثارها على العالم الإسلامي لا تخفى على كل ذي عينين ، ومن هذه الآثار الآتي :

أولاً : مفارقة جماعة المسلمين و مخالفتهم : الصوفية فارقوا جماعة السنة ، وشقوا عصا الطاعة

على جماعة المسلمين ، لأنهم اعتمدوا على أهوائهم فخرجوا عن جادة الصواب ، وقد حذر الله

من ذلك بقوله : ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ

عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿<sup>(٣)</sup> ، وقال تعالى : ﴿مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا

مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٣١﴾ مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيعًا كُلُّ حِزْبٍ

(١) سورة الأنعام ، ١٥٣ .

(٢) سورة الأنعام ، ١٦١ . ١٦٣ .

(٣) سورة آل عمران ، ١٠٥ .

بِمَالِدِيهِمْ فَرِحُونَ ﴿٣٢﴾<sup>١</sup> . وقال النبي صلى الله عليه و سلم : " افتترقت اليهود على إحدى أو ثنتين وسبعين فرقة ، وتفرقت النصارى على إحدى أو ثنتين وسبعين فرقة وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة " ، وفي رواية : " كلها في النار ، إلا واحدة : وهي الجماعة " قد أخبر عن وقوع الفرقة في أمته ، وسبب هذا الافتراق هو مخالفة أهل الأهواء عليهم السلام . فالنبي الضالة ما اتفق عليه أهل السنة والجماعة.

ثانياً : تسلط الأعداء : لقد وجد الأعداء أن الصوفية خير معين لهم لتفريق شمل الأمة وتشيت أفكارها ومعتقداتها لأن المجتمع الذي يعيش على الخرافة ويقدر الأشخاص فقد رهن عقله و تخلى عن أفكاره وترى على الذل والإهانة ، فإن طاعته العمياء لشيخه وما يمليه عليه ، تقوده إلى الولاء للأعداء كما فعل مشائخ وأتباع الطريقة الختمية في السودان ، والنقشبندية والبريولوية في الهند .. وغيرها .

يقول عيسى بو غالم : أضحت الصوفية مدخلا أساسيا ضمن الإستراتيجية الأمريكية في إطار التعاطي مع العالم الإسلامي ، لذلك سعت الولايات المتحدة وما زالت إلى تشجيع ودعم الصوفية باعتبارها واحدة من أهم وسائل التصدي للجماعات الإسلامية ، كل ذلك بناء على توصيات وتقارير العديد من المراكز البحثية ودراسات العديد من الخبراء الأمريكيين . ثم يذكر . قول : ستيفن شوارتز يوجه الخطاب إلى إدارة حكومته الأمريكية قائلا : من الواضح جداً أن على الأمريكيين أن يتعلموا المزيد عن الصوفية ، وأن يتعاملوا مع شيوخها ومريديها ، وأن يتعرفوا على ميولها الأساسية ، و يجب على أعضاء السلك الدبلوماسي الأمريكي في المدن الإسلامية من بريشتينا في كوسوفا إلى كشغار في غرب الصين ، ومن فاس في المغرب إلى عاصمة إندونيسيا جاكرتا أن يضعوا الصوفيين المحليين على قائمة زيارتهم الدورية . و يقول تقرير نشر في أمريكا : يعتقد الإستراتيجيون الأمريكيون بشكل متزايد أن الحركة الصوفية بآفرعها العالمية قد تكون واحداً من أفضل الأسلحة ، ومن المقترحات تقديم المعونة الأمريكية لترميم المزارات الصوفية في الخارج والحفاظ على مخطوطاتها الكلاسيكية التي تعود إلى القرون الوسطى وترجمتها ، ودفع الحكومات لتشجيع نهضة صوفية في بلادها . كما نشرت مؤسسة

(١) سورة الروم ، ٣١ ، ٣٢ .

( راند ) الشهيرة منذ أكثر من سنتين وثيقة عنوانها ( الإسلام المدني الديمقراطي .. من يشارك فيه ؟ وما هي مصادره وإستراتيجياته ؟ ) ، ومن بين توصيات الوثيقة ، توجيه قدر أكبر من الانتباه إلى الإسلام الصوفي ، وذلك من خلال تشجيع شعبية الصوفية وقبولها ، عبر تشجيع البلدان ذات التقاليد الصوفية القوية على التركيز على ذلك الجانب من تاريخها وعلى إدخاله ضمن مناهجها المدرسية . وتبعاً لذلك أوصت لجنة الكونغرس الخاصة بالحريات الدينية بضرورة قيام الدول العربية بتشجيع الحركات الصوفية ، الأمر الذي سيحظى بأكثر من استجابة من قبل حكومات هذه الدول<sup>(١)</sup> .

**ثالثاً :** إِماتة السُنَّة : لا شك أن هذه الطرق والمذاهب الصوفية من البدع المنكرة ، لأنَّه ما ظهرت بدعة إلا وماتت سنة من السنن ، لأن البدعة لا تظهر وتشيع إلا بعد تخلي الناس عن السنة الصحيحة ، فظهور البدع علامة دالة على ترك السنن الصحيحة .

**رابعاً :** ضلال أفراد الأمة : إن أئمة الصوفية و المنظرين لها لا يقتصر ضلالهم على أنفسهم ، ولكنهم يدعون إليه قولاً وعملاً ، بالحجة الباطلة ، والجدل المذموم ، والتأويل المنحرف ، و اتباع المتشابه ، والتعمية على عوام المسلمين وجهالهم . فالمتصوفة قد أسسوا لطرقهم كما بيّنا في هذه الدراسة ، ووضعوا لها المناهج الضالة ، و أبعدها أتباعها عن دليل القرآن والسنة ، وربطوهم بالأولياء والمشائخ حسب زعمهم ، فنحوا كتاب الله وسنة رسوله جانباً ، و اتبعوا أهواءهم فضلوا و أضلوا بغير علم كما قال تعالى : ﴿فَإِنْ لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾<sup>(٢)</sup> .

(١) بحث بعنوان : الدعم الأمريكي للصوفية المغربية ، أو صوفية المغرب رعاية رسمية ودعم أمريكي ، عباس بو غالم ، موقع إسلام أون لاين نت .

(٢) سورة القصص ، ٥٠ .

## قائمة أهم المراجع

١. ابن عربي ، عبد الرحمن بن عبد الخالق ، مقالات منشورة في موقع مكتبة صيد الفوائد .
٢. أصول وتاريخ الفرق الإسلامية ، جمع وترتيب : مصطفى بن محمد بن مصطفى .
٣. الإنصاف في حقيقة الأولياء وما لهم من الكرامات والألطاف ، تأليف الأمير محمد بن إسماعيل الصنعاني ، تحقيق عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر .
٤. البدع الحولية ، عبد الله بن عبد العزيز التويجري
٥. التزكية بين أهل السنة والصوفية ، أحمد عبد الكريم نجيب .
٦. الجامع لأحكام القرآن ، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي ، تحقيق : هشام سمير البخاري ، دار عالم الكتب ، الرياض ، ط ١٤٢٣ هـ .
٧. الخزنية .. خداع و تضليل ، عبد الله بن عبد الرحمن الجزيري ، موقع مكتبة صيد الفوائد على الشبكة العنكبوتية .
٨. الشفا بتعريف حقوق المصطفى ، القاضي عياض المالكي .
٩. الصوفية معتقداً وسلوكاً ، د / صابر طعيمة .
١٠. الصوفية نشأتها وتطورها ، محمد العبدية و طارق عبد الحليم .
١١. الصوفية و الوجه الآخر ، د / محمد جميل غازي .
١٢. الطرق الصوفية و انتشار البدع ، د / أحمد بن عبد الكريم نجيب .
١٣. الطريقة النقشبندية بين ماضيها وحاضرها ، الشيخ فريد الدين آيدن .
١٤. الفكر الصوفي في ضوء الكتاب والسنة ، عبد الرحمن عبد الخالق .
١٥. الكشف عن حقيقة الصوفية ، محمود عبد الرؤوف القاسم ، مكتبة صيد الفوائد على الشبكة العنكبوتية .
١٦. الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة ، الندوة العالمية للشباب الإسلامي .
١٧. إلى التصوف يا عباد الله ، أبو بكر جابر الجزائري .
١٨. حقيقة الصوفية في ضوء الكتاب والسنة ، د / محمد ربيع هادي المدخلي .
١٩. دراسات في الفرق ، د / صابر طعيمة .

٢٠. غاية الأمان في الرد على النبهاني ، محمود الألوسي
٢١. فرق معاصرة تنتسب إلى الإسلام ، د / غالب بن علي عواجي .
٢٢. مجموع الفتاوى ، ابن تيمية .
٢٣. موسوعة الرد على الصوفية ، إعداد أبي عبد المحسن ، أكبر موسوعة في الرد على الصوفية تحتوى على جل ما كتب عن التصوف على الشبكة العنكبوتية يقدر ب (٦٠٥) كتاب وبحث ، موقع مكتبة صيد الفوائد على الشبكة العنكبوتية .
٢٤. موسوعة الرد على المذاهب الفكرية المعاصرة ، جمع و إعداد علي بن نايف الشحود .
٢٥. هذه هي الصوفية ، عبد الرحمن الوكيل .